المستنقع اليمني يكشف مخاطر السياسة الخارجية للسعودية

تبدو السعودية وكأنّها تدفع ثمن سياستها الخارجية المتشدّدة، بينما تنزلق أكثر فأكثر في المستنقع اليمني الذي بات شاهداً على سلسلة من الخطوات الاستراتيجية التي لم تؤت ثمارها في السنوات الأخيرة، كما يرى محللون.

وقد اعتمدت المملكة منذ تسلم محمد بن سلمان منصبه سياسة اقليمية أكثر صرامة، خصوصا مع استمرار خلافها مع إيران، خصمها الأكبر في المنطقة.

ويقف ابن سلمان بحسب محللين وخبراء في الشأن السعودي، خلف السياسة المتشدّدة هذه والتي كانت المحرّك الرئيسي للحملة العسكرية في اليمن والأزمة مع الجارة الثرية قطر.

ودفعت هذه الاستراتيجية بعض المستثمرين إلى التردّد في دخول المملكة النفطية، في وقت تسعى البلاد المحافظة لاستقطاب الأموال الاجنبية لمواصلة برنامج اصلاحي يهدف لوقف الارتهان للخام.

وبحسب بسمة المومني الاستاذة في جامعة واترلو الكندية، فإنّ السياسة السعودية باتت تقوم على "إطلاق النار أولا، ثم طرح الأسئلة"، معتبرة أنها سياسة تستند إلى عامل الاندفاع "ولا تشمل استراتيجية بعيدة المدى".

وبدت المملكة وكأنّها تحاول التقليل من حدة هذه السياسة بعد جريمة قتل الصحافي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده باسطنبول العام الماضي، خصوصا في ظل العودة للاعتماد على مسؤولين مخضرمين، واستبعاد مساعدين شبان في دائرة ولي العهد.

وأدّت الجريمة إلى تشويه صورة ابن سلمان كإصلاحي، وإلى وضع العلاقات السعودية الاميركية قيد الاختبار.

"ليست جاهزة"

وفي ظل استمرار سيطرة ابن سلمان على مقاليد الحكم في المملكة، خصوصا عبر توليه وزارة الدفاع وحملته ضد المعارضين له، يستبعد مراقبون حدوث أي تغيير حقيقي في سياسات السعودية.

ويقول حسين ابيش الباحث في معهد دول الخليج العربية في واشنطن "هناك نمط من الأخطاء الاستراتيجية من قبل السعودية في السنوات الأخيرة، أحد أسبابه أنّ البلاد أصبحت تتولى للمرة الأولى دورا قياديا مستقلا في المنطقة".

وأوضح "السعودية ليست جاهزة لهذا الدور (…) والجيش السعودي لم يتم تأسيسه للقيام بحملات خارجية كبرى".

وكانت الرياض تأمل في بداية تدخلها في اليمن في آذار/مارس 2015 على رأس تحالف عسكري، ضمن حملة بلغت تكلفتها مليارات الدولارات، بانتصار سريع على المتمرّدين المقرّبين من إيران، لكنها غرقت في مستنقع تسبّب بأزمة إنسانية كبرى في أفقر دول شبه الجزيرة العربية.

في المقابل، يتزايد تهديد المتمردين ضد المدن السعودية عبر الطائرات المسيّرة والصواريخ الباليستية.

وواجه التحالف الذي تقوده الرياض ويلتقى مساندة أميركية، صعوبات في هزيمة جماعة الحوثي المتمرّسة

بحرب العصابات وبالقتال في المناطق الجبلية.

قد أنفقت السعودية مليارات الدولارات على شراء الأسلحة المتقدّمة وبينها الطائرات المقاتلة الحديثة، لكن العديد من المحللين يرون أنّ ترسانتها العسكرية تتناسب مع الحرب التقليدية الكبرى بدل أنّ تخدمها في الحروب بالوكالة ضد إيران.

وأظهر النزاع اليمني الحاجة لتحديث المؤسسة السعودية العسكرية المتضخّمة والثقيلة، والتي يرى فيها الخبراء قوّة تنقصها الكفاءة، متهمة بالتسبب بمقتل مدنيين بشكل متكرّر عن طريق الخطأ.

"مفاتيح الحلول"

ولم ترد وزارة الاعلام السعودية على طلب وكالة فرانس برس التعليق.

لكن مسؤولين سعوديين يقولون إنّ الرياض اتّبعت سياسة خارجية متشدّدة من أجل مواجهة ما يرون أنّه محاولة إيرانية للتوسع في المنطقة، وهو ما يشكل تهديدا لأمن المملكة.

إلا أن العديد من هذه الخطوات السعودية أدّت إلى نتائج عكسية.

ففي الأسابيع الأخيرة، طُردت قوات الحكومة اليمنية المدعومة سعوديا من مدينة عدن، العاصمة المؤقتة لهذه السلطة المعترف بها دوليا، إثر معارك مع قوات جنوبية انفصالية يفترض انّها متحالفة معها في الحرب ضد المتمردين الحوثيين.

ورأت الموني أنّ الوضع في جنوب اليمن "يكشف مدى التصدع الذي عانت منه استراتيجية الحرب اليمنية"، مضيفة "إذا انقسم اليمن بين جنوب وشمال، ستكون السعودية في مواجهة جارين مضطربين".

ويسعى الانفصاليون لاستعادة استقلال الجنوب، لكن حملته تحمل تأثيرات سلبية على الحرب ضد الحوثيين الذين يسيطرون على مناطق واسعة بينها العاصمة صنعاء منذ العام 2014.

كما أن أحداث الجنوب كشفت عن اختلاف في وجهات النظر بين السعودية والإمارات، الشريك الرئيسي في قيادة التحالف والداعم الرئيسي لقوات الانفصاليين الجنوبيين. وكانت أبوظبي أعلنت في حزيران/يونيو عن خفض عديد قواتها في اليمن في ما بدا محاولة للحد من خسائرها بينما تتصاعد التوترات مع إيران.

ورغم ذلك، قالت صحيفة "وول ستريت جورنال" الشهر الماضي إن الولايات المتحدة، حليفة السعودية، مستعدة لفتح حوار مع الحوثيين بهدف الحد من الاعمال الحربية، في وقت يرى مسؤولون أميركيون إن الرياض ليست جادة في إنهاء الحرب، وأنّه بات عليها اعتماد مقاربة أكثر دبلوماسية.

وبحسب مسؤولين يمنيين، فإن الحوار المدعوم سعوديا هو الحل الوحيد للخروج بأقل الخسائر من أحداث الجنوب.

وقال فرج البحسني محافظ حضرموت لوكالة فرانس برس "السعودية (…) تملك كل مفاتيح الحلول.